الجامعة سطيف2 ، الكلية العلوم الاجتماعية، القسم الفلسفة، السنة الجامعية 2023/2024 المقياس المصادر الفلسفية المستوى الماستر1 العامة المحاضرة رقم 13

مناقشة الموقف الفينومنولوجي:

انصبت أهم الانتقادات التي طالت النظرية الفينومنولوجية على مفهوم الأنا الخالص وما يحويه من مفاهيم فلسفية مستشكلة، وبخاصة نظرية الفعل الشعوري. و لما كان الأنا الخالص هو المجال الوحيد الذي يتم فيه التعبير عن الفعل الشعوري فان ذلك لم يترك أثرا أخر سوى الى الاشكالات التى يجرها مفهوم الأنا الخالص.

و من جملة هذه المسائل العالقة بمفهوم الأنا الخالص تلك التي تتعلق بالمنهج الفينومنولوجي و الذي اعتبره هسرل المنهج الكفيل بوصف الماهية وصفا فلسفيا مقنعا ، لما يتصف به الأنا الخالص من صفات ال محايثة و عن دوره في التأسيس المتعالي للفعل الشعوري. يرى هسرل ، في الشعور، بأنه مظهر من مظاهر الأنا الخالص من جهة ومن أخرى بأنهما كلاهما يمثل ماهية، في شكلها الماهوي المستقل .

تتبين العلاقة التي يتصورها هسرل بين كل من الأنا الخالص و الفعل الشعوري في القصدية والتي توطد العلاقة بين الأنا الخالص و الشعور من خلال الطبيعة المحايثة القائمة في الوعي.الأمر الذي يمنع اغفال المسألة المقلقة فلسفيا و التي تواجهنا عند الفكرة التي تقضي بأن القصدية تحمل معها مفاهيم الحركة،و هو الأمر الذي واجهه هسرل في "دروس فينومنولوجية الوعي بالزمن" ليدافع على اثره على تصوره للأنا الخالص، و بالذات عند ابتكاره لفكرته عن الزمن الفينومنولوجي.

يطرح مفهوم الحركة مفاهيم فلسفية متجذرة في عمق الأطروحة المتافيزيقية حيث و ان الحركة تطرح معها مفاهيم محايثة لها مثل الاستمرارية و الديمومة لكونها تعد من الخصائص الطبيعية للزمن و كما أنها مبادئ تدفق الوقت، غير أن هسرل يرد على نقاده، بفكرته عن الزمن الفنومنولوجي و اعتبره زمنا يحظى بالطبيعة المطلقة والخالصة ،و على ذلك، فان ليس الأمر يتعلق بالزمن الكسمولوجي ولكن الأمر يتعلق بالزمن الخالص ، الا أن هذا الحل لم يلقى الترحيب و القبول في أوساط النقد، بل رأى الكثير منهم بأن فكرة الزمن الفينومنولوجي تأخذ منبعها و تعود جذورها النظرية الى برغسون، و أنها اعادة توظيف لنظريته عن الشعورو فلسفتها.

قد نقف أمام هذا النقد موقفا يدعو الى الترك أمام السؤال الذي ينجر عنه، اذ ما هو الوجه المعيب في أن تلتقي فكرة هسرل عن الأنا الخالص و وعيه بالزمن بتلك عن الوعي و الديمومة لبرغسون؟ ان نقطة الضعف كما يراها الناقدون لا تتعلق بالمنحى الابيستيمي في النظرية الفينومنولوجية ولكن الأمر يتعلق بالطابع الدوغماتي الذي آلت اليه حيث و ان هسرل يجعل المفهوم النسبي مفهوما مطلقا بمجرد أن يصف بصفة المطلق ما هو بطبيعته نسبيا : المفاهيم من مثل "المطلق" و اللا نهائ" و التي هي المفاهيم الضرورية لقيام المعرفة بحيث لا تكاد تخلو النظرية المعرفية من هذه المسائل التأسيسية من الناحية الأبيستيمية الا لتطرحها كنظرية تامة ضمن السياق النظري السليم. غير أن الحجة التي يبني هسرل موقفه هذا مستوحاة من فلسفة كانط، حينما يجعل من الأنا الخالص الأنا الماهوي الذي يشكل الأفق الميتافيزيقي للوعي و للفعل الشعوري على حد سواء، فانه يلجأ الى فكرة الطبيعة الترانسندنتالية لكل من الأنا الخالص و أيضا للفعل الشعوري كحل يواجه به هسرل اشكالية الثنائية الفلسفية التقليدية تلك القائمة بين الماهية و الوجود.

لم يحظى رأي هسرل في توظيفه للمطلق كخاصية للأنا الخالص و للفعل الشعوري أمام الثنائية الفلسفية بالترحيب من الناقدين الذين رأوا في المحاولة الهسرلية انجرار وراء الدوغمائية من حيث أن المطلق المجرد هو بمثابة الأفق النظري المحض لماهية المعرفة نفسها لأنها تشكل المبدأ الذي بدونه ينعدم الفعل المعرفي فيه و يستحيل امكانه بتاتا. عندما يجعل هسرل الخاصية الترانسندنتالية كطبيعة للأنا الخالص فانه و بحسب نقاده ، يطيح بالقيمة الابيستيمية للأفق المعرفي الذي يشكله المطلق ، و الذي أصبح محايثا للأنا الخالص و بعد أن كان هو المعيار الذي تتحدد مصداقية و حقيقية المعرفة من خلاله أضحى كصفة للذات العارفة بيدا أنها و في حقيقة الأمر، تكون هي المبدأ المؤسس للمعرفة .

يرى الناقدون بأن نظرية الأنا الخالص و نظرية القصدية و اللاتي وضعهما هسرل لتجاوز الثنائية ليستا بديلا و لا يمكن لهما ، أن تقوما مقام اليقين والصدق ، في نظرية المعرفة.أذ و حيث يجعل هسرل الأنا في موضع متعال شأنه في ذلك شأن كل المبادئ المؤسسة فان الطابع الضروري و الخاصية الغائية له تصطدم لامحال مع الاعتبارات الموضوعية التي تقتضيها المسألة الوجودية.

و من النقاط الأخرى التي مثلت بالنسبة الى الناقدين مظاهر الضعف في البناء الفينومنولوجي تلك المتعلقة بالارادة الحرة ، و لما كانت هذة المفهومة تحتل مكانة ضرورية في ميتافيزيقا المعرفة فان هسرل أهملها موليا القصدية كل اهتمامه، بل وضع عن الأنا قدرتها على الأختيار الحر ، و أوعزها طبيعة قصدية حيث يقصد الأنا الخالص موضوعه و يتوجه نحوه بصورة ضرورية لا مجال لكيفبات الأختيار والتي و من خلالها يتحدد الموقع الموضوعي للأنا في وجوده الواقعي و الذي يأخذ شكلا من أشكال التفكير و الحكم ضمن الفعل المعرفي، و لما كان الأنا يتصف بالخاصية الترانسندنتالية ، فان ذلك يتعارض حتما مع الحقيقة الموضوعية اثر كل عملية معرفية ، كحقيقة الشعور التي يعبر عنها الأنا السيكولوجي، من حيث أنه الشرط الضروري لنشاط الوعي وفق ما يتحدد مع جميع الوظائف المعرفية .

لقد نقل، اذا ، هسرل الأنا من المستوى الموضوعي و وضعه عند المستوى الترانسندنتالي ، ليمهد بذلك الى الوجهة الفينومنولوجية الجديدة ، و التي يبدو و بحسب الأنتقادات التي لحقت بها ، لم تظفر تماما بتلك المكانة المتعالية التي هيأها لها هسرل و بوأها اياها، ليتموضع ذلك الأنا المتعالي و يحتفظ بخاصيته الوجودية المتعالية .

و لما كانت الخاصية الوجودية شرطا و مبدأ للفعل المعرفي في المستوى الموضوغي فان العالم كزمن كسمولوجي ،أضحى السياق المبدئي للأنا العارفة، بحيث يكون بالنسبة للأنا،ما يمثل الأفق الوحيد الممكن في الفعل المعرفي (كانط)، و لأجل ذلك ، فان الأنا الترانسندنتالي لا يظهر الا من خلال الزمن الفينومينولوجي. و الذي يتصف بكونه زمنا محدودا و كما انه أيضا محصور ضمن الكيفية القصدية فقط. و كما و لان يعد الفعل الشعوري القصدي فعلا تركيبيا و ليس أستنتاجيا ، أي يعني ذلك ، و كما بين ذلك كانط في "نقد ملكة الحكم" بحيث تكمن وظيفته في ادراك الماهيات ادراكا كاملا ، فان الزمن الفينومينولوجي بات هو الآخر زمنا مقتطعا و خاصا ، و هذا هو الأمر الذي كان موضع الأنتقاد الذي تذرغت به الأطراف المنتقدة للموقف الهسرلي، حيث و أنها تناقش في امكانية تحديد و امكانية وصف للزمن الفينومينولوجي ، و الذي هو بدوره يعد بالزمن المقتطع من الزمن الكوسمولوجي؟ انه الأمر الذي جعل الناقدون يرون فيه أنه تعبير عن التداخل بين المفهومات و بأنه خلط و مزج لنمطين معرفيين مختلفين .كما و يرون فيه موضع للضعف في النظرية الفينومينولوجية في وصفها للفعل الشعوري القصدي.